مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الاقتصاد والإدارة، م١٥، ع١، ص ص ٥٩-٩٧ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

التخطيط الإداري الإسلامي في العهد النبوي المدني

فيصل بن أحمد بن عابد شعيبي
أستاذ مساعد
قسم الإدارة العامة - كلية الاقتصاد والإدارة
جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢١/٦/٢٠هـ وقبل للنشر في ١٤٢١/١١/١٩هـ)

المستخلص: إن الإدارة الإسلامية أسلوب للحياة تستمد منهجها من مصادر الشريعة الإسلامية الأساسية والفرعية . ولكي تكون منهجا للتطبيق لابد من توافر البيئة الإسلامية التي تعمل في داخلها والقيادة الإسلامية التي تديرها والهدف الشرعي الذي تسعى إلى تحقيقه. ولهذا فقد حرص الباحث في هذه الدراسة على مناقشة التخطيط كأحد الجوانب الإدارية وفق السنة النبوية المطهرة العملية لإدارة الدولة الإسلامية الناشئة في المجتمع المدني باعتبارها الأصل الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية، وذلك لتحقيق الأهداف التالية :

١ ـ إبراز دور العقيدة الإسلامية كمنهج تربوي للنفس البشرية في التخطيط الإداري ليحل محل المنهج العلماني الغربي .

٢ ـ التعرف على معالم وملامح المجتمع المثالي الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة والتي لم تعرف الدنيا كلها مثله .

٣ ـ نشر الوعي الإسلامي عن التخطيط كأحد الوظائف الإدارية وذلك للاستفادة من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام أية دولة معاصرة على أساس إسلامي .

٤ ـ تأصيل سمو الفكر الإداري الإسلامي على الفكر الإداري الوضعي وذلك لإعادة بناء ثقة المسلمين في تراثهم الإسلامي فكرًا وممارسةً .

٥ ـ المساهمة في إضافة معلومات مهمة عن التخطيط الإداري الإسلامي من أجل تكوين مادة علمية متكاملة مستقلة في مكتبة الإدارة الإسلامية .

وقد بينت الدراسة أن التخطيط الإداري في الإسلام يعني عملية استفراغ الوسع من قبل الفرد أو الجماعة في الأخذ بالأسباب الشرعية والاستفادة من دروس الماضي والحاضر لوضع التدابير اللازمة لمواجهة المستقبل مع التوكل على الله فيما قدر من نتائج لتحقيق أهداف تتفق أو لا تتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية وهي :

١- حفظ الدين ٢- حفظ النفس ٣- حفظ العقل ٤- حفظ النسل ٥- حفظ المال.
إذاً فالتخطيط الإداري في الإسلام يعتبر وسيلة لا غاية في حد ذاته وذا طابع تعبدي يسعى إلى تحقيق مضامين استخلاف الإنسان في هذه الحياة الدنيا امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُون ﴾ [الذاريات:٥٦] .

كما بينت الدراسة أن إدارة الدولة الإسلامية الناشئة في العهد النبوي المدني لم تكن تتبع الأساليب العشوائية وإنما كانت تتم بأسلوب علمي تضمن مقومات التخطيط الإداري الناجح (أهداف، سياسات، وسائل، تقييم).

مقدمة

إن الإدارة الإسلامية أسلوب للحياة ومنهج للتطبيق، ومن الواجب على كل مسلم التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم في كل جانب من جوانب الحياة بما في ذلك الجانب الإداري. ذلك لأن الإدارة الإسلامية تستمد منهجها من مصادر الشريعة الإسلامية سواءًا أكانت الأساسية (القرآن الكريم والسنة النبوية) أو الفرعية (الإجماع، القياس، العرف، الاستحسان وغيرها). كما تتسم بالشمولية وملاءمة الفطرة الإنسانية على اختلاف الأزمنة والأمكنة في إطار تنفيذ أوامر الله وتحقيق المصالح المشروعة للإنسانية.

إذًا يجب على المسلمين الإقتداء بهذا المنهج الإسلامي في الإدارة حيث إن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تعد نموذجا حيا لتلك الإدارة الإسلامية فكرًا وممارسةً وقولا وعملا، وذلك امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى في عدد من الآيات القرآنية :

﴿ ... وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [الحشر : ٧] .
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].
﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى،إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم:٣-٤] .
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾ [آل عمران:٣١].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه) (أنس، ١٤١٨هـ : ٤٠٠) .

(...فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ...) (العظيم آبادي،١٤١٠هـ:٢٣٤-٢٣٥).

ولهذا فقد حرص الباحث على استعراض التخطيط كأحد الجوانب الإدارية المهمة وفق السنة النبوية المطهرة العملية لإدارة الدولة الإسلامية الناشئة في المجتمع المدني باعتبارها الأصل الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية. فقد بدأ التخطيط لإدارة هذه الدولة عقب وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، حيث أسس مسجد قباء، ثم بنى مسجده الشريف، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد صحيفة المدينة ...الخ . كل ذلك لأن العمل بدون خطة يصبح ضربًا من العبث . ومن هنا أصبح التخطيط ضرورة ملحة لتحقيق أهداف الدول والمنظمات والجماعات والأفراد.

وقد قسّم البحث إلى عدة أقسام : القسم الأول يناقش طريقة البحث بينما يستعرض القسم الثاني أدبيات البحث . وأما القسم الثالث فيشرح مقومات التخطيط الحديث كإطار لبيان أن التخطيط الإداري ليس – كما يبدو للبعض – وظيفة إدارية ابتكرها الفكر الإداري الشرقي أو الغربي بقدر ما هو نمط من أنماط السلوك الإنساني عرف وبحث وطبق من قبل الإسلام لكونه الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه. والقسم الرابع يناقش التخطيط الإداري الإسلامي في العهد النبوي المدني، والقسم الخامس يستعرض عوامل نجاح قيام الدولة الإسلامية، وأما السادس فيرصد نتائج البحث، وأخيرًا الخاتمة.

القسم الأول : منهج البحث

في هذا القسم يستعرض الباحث أسباب اختيار البحث، أهداف الدراسة وأسئلتها، منهج البحث وحدوده.

أسباب اختيار البحث

هناك مجموعة من الأسباب الداعية لإجراء مثل هذه الأبحاث ذات الصبغة الإسلامية ومنها ما يلي :

١. الحاجة الملحة، خاصة في الوقت الراهن، للاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم كمشرع وقائد ومخطط وموجه، لكي تعود للأمة الإسلامية هيبتها وعزتها وإدارتها المستقلة المتميزة امتثالا لقول الله تبارك وتعالى في عدد من الآيات القرآنية : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿ ... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢. طغيان الفكر السياسي والإداري العلماني الغربي على المناهج التعليمية في الجامعات والكليات والمعاهد خاصة بعد سقوط الشيوعية حيث بينت دراسة المطيري (١٤١٢هـ:٣٨-٣٩) أن ٧٧٪ من أفراد عينة دراسته يرون أن أصول علم الإدارة العامة الحديثة قائم على النظريات العلمانية، فيما يرى ٩٢٪ أن هذه الأسس والمبادئ ظهرت في المجتمع الغربي على أيدي كتاب غربيين.

٣. حاجة المناهج الدراسية الخاصة بالعلوم الإدارية لإبراز وجهة النظر الإسلامية. فعلى سبيل المثال أوضحت الدراسة السابقة (المطيري، ١٤١٢هـ:٣٩) أن المراجع المستخدمة، سواء المترجمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في تدريس الإدارة العامة متشابهة في محتوياتها وأفكارها وغالبًا ما تعكس مفهوم الإدارة العامة في الولايات المتحدة الأمريكية. إن هذا الفكر الإداري الغربي يسعى إلى الهيمنة والسيطرة ومن ثم القضاء على القيم والأديان بما في ذلك الدين الإسلامي.

٤. إبراز الفكر الإداري الإسلامي تجاوبًا مع نداءات المسؤولين عن سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية.

أهداف البحث

يسعى الباحث في هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية :

١ ـ إبراز دور العقيدة الإسلامية كمنهج تربوي للنفس البشرية في التخطيط ليحل محل المنهج العلماني الغربي .

٢ ـ التعرف على معالم وملامح المجتمع المثالي الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة والتي لم تعرف الدنيا كلها مثله .

٣ ـ نشر الوعي الإسلامي عن التخطيط كأحد الوظائف الإدارية وذلك للاستفادة من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام أية دولة معاصرة على أساس إسلامي .

٤ ـ تأصيل سمو الفكر الإداري الإسلامي على الفكر الإداري الوضعي وذلك لإعادة بناء ثقة المسلمين في تراثهم الإسلامي فكرًا وممارسة.

٥ ـ المساهمة في إضافة معلومات مهمة عن التخطيط الإسلامي من أجل تكوين مادة علمية متكاملة مستقلة في مكتبة الإدارة الإسلامية.

أسئلة البحث

يمكن عرض مشكلة البحث من خلال السؤالين التاليين :

١ـ ماذا يقصد بالتخطيط الإداري في الإسلام ؟

٢ـ هل تم تطبيق التخطيط الإداري في إدارة الدولة الإسلامية الناشئة في العهد النبوي المدني؟

منهج البحث

في مثل هذه الأبحاث النظرية التي يغلب عليها طابع الوثائق التاريخية، يلجأ الباحث إلى المنهج التاريخي، إلا أنه في هذه الدراسة، وانسجامًا مع أهداف البحث، سيستخدم المنهج التاريخي التحليلي. أي أن الهدف ليس السرد التاريخي للسيرة النبوية العطرة وإنما محاولة التحليل والبحث والدراسة لما وراء هذه الأحداث والوقائع الصحيحة والأقوال والأفعال للرسول صلى الله عليه وسلم ذات العلاقة بموضوع البحث . ومن ثم الخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات للاستفادة منها في واقع التخطيط الحديث .

حدود البحث

حدد الباحث من خلال أسئلة الدراسة نقطتين أساسيتين لمناقشتهما : أولاهما معنى التخطيط الإداري الإسلامي، وثانيتهما التخطيط لإدارة الدولة الإسلامية الناشئة في الفترة المدنية من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك للأسباب التالية :

١. طول فترة العهد النبوي المدني والذي استغرق عشر سنين .

٢. تزامن توافر كل مقومات الدولة بمفهومها المعاصر مع بداية العهد النبوي في الفترة المدنية مما أدى إلى ضرورة التخطيط لهذا المجتمع الجديد.

وهذا يعني أن البحث لن يناقش التخطيط لإدارة الدعوة الإسلامية في العهد النبوي المكي، أو يقارن مفهوم وخصائص التخطيط الإداري الإسلامي بالوضعي لأنهما موضوعان قدما للنشر من قبل الباحث في مجلتين علميتين متخصصتين.

القسم الثاني : أدبيات البحث

يناقش هذا الجزء من الدراسة مفهوم التخطيط الإداري في الإسلام. كما يستعرض سمات المجتمع المدني قبيل الهجرة النبوية المباركة ليتسنى معرفة الجهد الكبير الجبار والأسلوب العلمي الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم لتحديد المجالات التي تتطلب تحسينًا وتطويرًا حتى لا

تكون حجر عثرة أمام إدارة دولة الإسلام الناشئة في تلك الفترة. ثم إلقاء الضوء على دوافع إسلام أهل المدينة ليتضح أنه على الرغم من التدهور في الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية لذلك المجتمع إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع بتوفيق من الله تبارك وتعالى أن يستفيد منها لتحقيق أهداف دعوته وإقامة دولة من العدم.

أولا : مفهوم التخطيط الإداري في الإسلام

يعتبر التخطيط العنصر الأول والأساسي في الفكر الإداري، وهو حجر الزاوية في العمليات الإدارية حيث إنه وبدون تخطيط متقن ومسبق لا يمكن أن يكون هناك عمل ناجح . إن التخطيط، كوظيفة هامة، ليس وليدة اليوم وإنما هو قديم قدم التاريخ، فقد طبقته حضارات المصريين والصينيين والرومان والإغريق وكذلك الحضارة الإسلامية بمفهومه الشامل في جوانب الحياة كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والعسكرية. وقد ازدادت أهمية التخطيط في العصر الحديث حتى أصبح يحتل المكانة الأولى بين الوظائف الإدارية الأخرى، فهو يسبق التنظيم والتوجيه والرقابة، باعتباره عملية ذهنية وفكرية تسبق تنفيذ الأعمال، بل إن تنفيذ الأعمال يعتمد أساسا على الخطط والبرامج المعدة، التي على أساسها يتم ترجمة الخطط إلى واقع ملموس (النمر وآخرون، ١٤١٤هـ : ٩٠-٩١). إذا إن العمل بدون خطة يصبح ضربا من العبث، إذ تعم الفوضى والارتجالية ويصبح تحقيق الهدف بعيد المنال والتحكم في الموارد المادية والبشرية من المستحيل. من هنا أصبح التخطيط ضرورة ملحة لتحقيق أهداف الدول والمنظمات.

وقد عرف فرناس البنا التخطيط الإسلامي بأنه " أسلوب عمل جماعي يأخذ بالأسباب لمواجهة توقعات مستقبلية، أو يعتمد على منهج فكري عقدي _يؤمن بالقدر ويتوكل على الله- ويسعى لتحقيق هدف شرعي هو عبادة الله وتعمير الكون" (البنا، ١٤٠٥هـ:٨٥). كما عرفه حزام المطيري بأنه "التفكر والتدبر بشكل فردي أو جماعي في أداء عمل مستقبلي مشروع مع ربط ذلك بمشيئة الله تعالى ثم بذل الأسباب المشروعة في تحقيقه مع كامل التوكل والإيمان بالغيب فيما قضى الله وقدره على النتائج" (المطيري، ١٤١٧هـ:٧٦) . وهناك من يرى أن التخطيط الإداري في الإسلام "وظيفة إدارية يقوم بها فرد أو جماعة من أجل وضع ترتيبات عملية مباحة لمواجهة متطلبات مستقبلية مشروعة في ظل المعلومات الصحيحة المتاحة والإمكانات الراهنة والمتوقعة كأسباب، توكلا على الله عز وجل من أجل تحقيق أهداف مشروعة" (المزجاجي، ١٤٢١هـ:١٣٦).

كما أن التخطيط في الإسلام يمكن تعريفه – كما يراه الباحث - بأنه عملية استفراغ الوسع من قبل الفرد أو الجماعة في الأخذ بالأسباب الشرعية والاستفادة من دروس الماضي والحاضر لوضع التدابير اللازمة لمواجهة المستقبل مع التوكل على الله فيما قدر من نتائج، لتحقيق أهداف تتفق أو لا تتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية.

إن هناك خمسة مقاصد فرضها الدين الإسلامي وهي :

١ـ حفظ الدين.

٢ـ حفظ النفس.

٣ـ حفظ العقل.

٤ـ حفظ النسل.

٥ـ حفظ المال.

وبما أن الإدارة في الإسلام هي أصلا ذات طابع تعبدي، فإنه من الضروري جدًا أن يكون لها نوع مميز من التخطيط الذي يعكس فلسفتها ويحقق أهدافها .. ذلك هو التخطيط الإداري في الإسلام. وهذا ما يمكن ملاحظته في تخطيط النبي صلى الله عليه وسلم خلال الفترة المدنية.

وفيما يلي سيتم عرض أوضاع المجتمع المدني قبيل الهجرة النبوية حتى يتسنى معرفة الجهد الكبير الجبار والأسلوب العلمي الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل التخطيط لتبليغ كلام الله عز وجل، لإدارة دولة الإسلام الناشئة في تلك الفترة. أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمكن من تحديد مشكلات المجتمع المدني المراد إيجاد حلول مناسبة لها لأن التحديد الدقيق للمجالات والمواضع التي تتطلب تحسينًا وتطويرًا يعتبر من أساسيات نجاح وفعالية التخطيط والتي على ضوئها يتم تحديد الأهداف المراد تحقيقها.

ثانيا : سمات المجتمع المدني في العصر الجاهلي

إن السمات العامة للمجتمع المدني قبيل الهجرة النبوية تتمثل في العناصر التالية (الخطراوي، ١٤٠٤هـ:١٣-٥٤، الخطراوي، ١٤٠٣هـ:١٩-٢٧٦، إدريس، ١٤٠٢هـ:٢٩-٩٨):

أ ــ الحالة الاجتماعية

وصف سكان المدينة خلال العصر الجاهلي بأنهم خليط، تشكلت بنيتها الاجتماعية من ثلاثة عناصر. وإن أبرز هذه العناصر بنو قيلة من الأزد من اليمن وهم الذين عرفوا بالأوس

والخزرج، ثم اليهود وهم ينتمون إلى ثلاث قبائل أساسية : بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع. إضافة إلى أفخاذ قليلة الشأن من قبائل أخرى ليس لها أثر يذكر في تحريك الحياة الاجتماعية، وإنما هم تَبَعْ للعنصرين الأولين. إذًا يبدو أن هذا المجتمع لا توجد فيه أغلبية مهيمنة بل كان ثلثًا للأوس وثلثًا للخزرج وثلثًا لليهود. إلا أن هذا التقسيم رغم بساطته التكوينية كان في غاية التعقيد لأن العلاقة بين هذه العناصر قائمة على الحقد والحسد والتربص والحذر يستوي في ذلك الحال بين العرب واليهود، وبين العرب والعرب، واليهود واليهود (الخطراوي، ١٤٠٤هـ:١٣).

وفي غمار هذا التنافر أصبح من الصعب جدًا إقامة علاقة تفاهم ووئام لأن الحروب، والتي استمرت مائة وعشرين سنة، استنزفت الكثير من طاقاتهم ومجهوداتهم وأنفسهم، حيث حالف الأوس يهود بني قريظة وحالف الخزرج يهود بني النضير وبني قينقاع. وكان آخر ما وقع بينهم من حروب ما عرف باسم موقعة بعاث والتي مات فيها أكثر رؤسائهم، وذلك قبل الهجرة النبوية بسنوات قليلة (البوطي، ١٣٩٧هـ:١١٦).

ب ــ الحالة الدينية

إن التكوين الاجتماعي في المجتمع المدني السابق الذكر أدى إلى انشطار ديني. فكان اليهود يدينون بدين سماوي هو دين موسى عليه السلام، وكان الأوس والخزرج ومن تبعهم يدينون بالوثنية. أن مثل هذا التناقض الموجود في يثرب أدى إلى صعوبة التعايش والسلام بين هذه الطوائف المتعددة (الخطراوي، ١٤٠٣هـ:٢٤٣).

وكان اليهود أصحاب الثروة والجاه، وينعتون أنفسهم بأنهم أهل العلم بالأديان والشرائع، ويفاخرون الأوس والخزرج بذلك وهو ما خلق فيهم روح الغطرسة والتعالي. إلا أن اليهودية انحرفت كثيرا عن عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام. وقد زاد خوف اليهود من السلم الجبري الذي نجم عن حرب بعاث، والتي حدثت بين الأوس والخزرج نظرا للإنهاك الحاد الذي حدث من جرائها، فكانوا يتوعدون العرب بظهور نبي وأنهم سوف يتبعونه وينتصرون به عليهم (إدريس، ١٤٠٢هـ:٤٥) .

وأما الأوس والخزرج كانت أكثر ما تدين بصنم يعرف باسم مناة يتخذونه كوسيلة للتقرب من الإله الأعظم. وكانوا إلى جانب ذلك "... يعظمون الكعبة بمكة ويسمونها بيت الله ..." وكانوا يعتمرونها ويحجونها ويقفون مع الناس المواقف كلها. ولكنهم لا يحلون ولا

يحلقون رؤوسهم إلا عند "... صنمهم مناة الذي يقع على جبل المشلل" (الخطراوي، ١٤٠٣هـ: ٢٤٧-٢٥٤).

جـ ــ الحالة السياسية

تشكلت القوى السياسية كما ذكر آنفا في المجتمع المدني قبل الهجرة النبوية من المشركين وهما الأوس والخزرج ومن اليهود. لقد عمد الأوس والخزرج إلى إذلال اليهود وتحطيم قوتهم وذلك عندما قويت شوكتهم نظرا لاتصالهم ببني عمومتهم من الغساسنة في الشام كسند لهم ضد قوة اليهود (إدريس، ١٤٠٢: ٤٤) . وبالفعل قامت حرب طاحنة بينهم انتهت إلى أن صار اليهود هم الحلفاء للأوس والخزرج. وبعد ذلك عمد اليهود إلى استعمال الحيلة والمكر بدلا من القوة لإضعاف العرب . وكان لليهود ما أرادوا فنشبت حروب كثيرة بينهما أضعفت كلا من الأوس والخزرج معا بعد أن مات أكثر رؤسائهم في حرب بعاث .

ومما يمكن أن يستخلص عن الكيان السياسي لهذا المجتمع هو (الخطراوي، ١٤٠٣هـ : ١٢٩-١٣٢) :

١ ـ محدودية الوعي السياسي إذ لا يتجاوز حدود القبيلة.
٢ ـ لم تكن هناك حكومة دائمة مستقرة أو كيان سياسي مستقل.
٣ ـ لم يكن هناك قضاء يحتكم إليه من قبل المجتمع أو شرطة تقر الأمن والنظام.
٤ ـ كل قبيلة تكون جماعة منفصلة مستقلة تمام الاستقلال.

د ــ الحالة الاقتصادية

إن الوضع الاقتصادي في المدينة قبل الهجرة النبوية قائم على (الخطراوي، ١٤٠٤هـ:٤٥):

١ ـ الزراعة والتي كان يتفوق فيها العرب رغم مشاركة اليهود لهم.
٢ ـ التجارة والتي تفوق فيها اليهود مع مشاركة العرب لهم.
٣ ـ الصناعة والتي تفوق فيها اليهود خاصة بنو قينقاع، وأما العرب فكانوا يرون ممارسة مثل هذا العمل من الامتهان إلا ما كان في حدود ضيقة كصناعة البناء والنجارة .

مما سبق الإشارة إليه حول الوضع الاجتماعي والديني والسياسي والاقتصادي لمجتمع المدينة يتضح اختلاف جنسية سكانه، فمنهم العرب ومنهم اليهود، وعدم وجود غاية مشتركة بينهم. وكانت حياتهم تعتمد على تملك الأرض الزراعية واستثمارها كما كانت القوة الذاتية سواء

الفردية أو الجماعية هي الضمان الوحيد لحفظ الحقوق (الشريف، ١٩٦٥: ١٨٢-١٨٣). إن المدينة "... عاشت حياة مضطربة قلقة أشبه ما تكون بحياة المجتمع الرعوي، غير بعض الفترات القصيرة من سلم لا يلبث أن يفيض كقطرة ماء في يوم قائظ من أيام السموم" (الخطراوي، ١٤٠٤هـ:٥٢).

إذاً هذه هي أهم العقبات التي ستواجهها حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم وانبرت لها لمواجهتها لتكوين المجتمع المسلم الجديد كما سوف يعرف لاحقا في الجزء الخاص بالدراسة والتحليل من البحث. ولكن بعد هذا العرض لتلك الأوضاع المتردية يظهر سؤال هام : لماذا إذاً أسلم أهل المدينة ؟ وفيما يلي الإجابة.

ثالثا : دوافع إسلام المجتمع المدني

إن من توفيق الله سبحانه وتعالى أن المدينة المنورة كانت تجتمع فيها عناصر عديدة استفاد منها الرسول صلى الله عليه وسلم في تأسيس وإدارة المجتمع المدني الجديد ومنها ما يلي (العودة، ١٤١٠هـ:١٨٢-١٨٣، إدريس، ١٤٠٢هـ:٦١-٦٣، الشريف، ١٩٦٥: ٣٨١-٣٨٣، الحديثي، ١٩٨٧ : ٩٦-١٠٠، الوكيل، ١٤٠٩هـ:١٤-٢٨) :

أ ـ الحروب التي نشبت بين الأوس والخزرج وما حل بهما من ضعف خاصة بعد حرب يوم بعاث والتي قضت على كثير من زعمائهم لأنهم كان من المحتمل أن يكونوا عقبة في طريق إسلام قومهم كما فعل سادة مكة حين صدوا المستضعفين عن الدخول في الإسلام . ومن هنا فلم يجد النبي صلى الله عليه وسلم إلا الرؤساء الثانويين الشباب والذين كانوا أقرب إلى الطاعة وأسهل قيادًا.

ب ـ معرفة الأوس والخزرج بفكرة الديانات السماوية نظرا لمجاورتهم لليهود وتأثرهم بهم. وقد كان اليهود يهددونهم بقرب ظهور نبي جديد يحطم أصنام الوثنيين، فينضمون إليه ويقتلون الأوس والخزرج وبالتالي فقد تهيأت الأذهان لاستقبال الدين الجديد . فلما التقى الرسول صلى الله عليه وسلم ستة نفر من أهل المدينة وعرض عليهم الإسلام استبشروا وأسلموا " ...وعرفوا أنه النبي الذي توعدهم به اليهود...وكان هذا هو بدء إسلام الأنصار" (العودة، ١٤١٠هـ:١٨٤) .

جـ ـ التنافس والتفاخر القبلي بين الأوس والخزرج أدى إلى تخوف الخزرج "...من أن تسبقهم الأوس إلى دخول الإسلام ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مما جعلهم يقطعون

الطريق على الأوس ويعلنون استعدادهم لمحالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويطلبون منه أن يهاجر إليهم ليدعو قومهم إلى (الإسلام)" (إدريس، ١٤٠٢هـ:٦٢) .

د ـ الإيمان العميق والعقيدة الراسخة في قلوب المهاجرين مكنتهم بتوفيق الله من أن يشقوا طريقهم إلى المدينة للنهوض بأعباء الرسالة التي آمنوا بها.

القسم الثالث : مقومات التخطيط الإداري

يوضح الفكر الإداري الحديث أن هناك عددًا من المقومات الأساسية يجب أن تتضمنها عملية التخطيط الإداري والتي ستستخدم كإطار لمناقشة التخطيط الإداري الإسلامي، وهي كما يلي (النمر وآخرون، ١٤١٤هـ:٩٦-١١٢، السواط وآخرون، ١٤١٦هـ:٩٧-٩٩، عساف، ١٤١٠هـ:١٣٨-١٤٠، ياغي، ١٤٠٧هـ:١٩٣-٢٠٢):

١ ـ الأهداف هي مجموعة النتائج المطلوب تحقيقها في المستقبل، على أن تكون هذه الأهداف واضحة ومحددة وواقعية ومتناسقة وقابلة للقياس وتوجد قناعة وإيمان تام لتحقيقها.

٢ ـ السياسات تعني مجموعة المبادئ والقواعد التي تستخدم لتحقيق الأهداف. وهناك فرق بين السياسة والهدف، فالهدف هو ما يراد تحقيقه، أما السياسة، فهي الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق الهدف. وهذه السياسات يجب أن تكون واضحة ومتناسقة ومقبولة ومرنة.

٣ ـ وأما الوسائل فتعني تحديد الأعمال اللازمة والنشاطات الضرورية في إطار السياسات المحددة وصولا إلى الأهداف. إن الأهداف الموضوعة والسياسات المعدة لتحقيق الأهداف لا يمكن أن تعمل دون وجود مجموعة من الوسائل والإمكانات الضرورية لترجمة هذه الأهداف إلى شيء ملموس. وينبغي توخي الدقة والواقعية عند تحديد هذه الوسائل.

٤ ـ وأخيرًا المتابعة والتقييم والتي تعني متابعة سير العمل وتقدمه وما تم إنجازه والصعوبات التي تواجه عملية التنفيذ وتحول دون تحقيق الأهداف المرجوة.

وسيتم فيما يلي مناقشة التخطيط النبوي للدعوة الإسلامية وإدارة الدولة الإسلامية الناشئة وفق مقومات التخطيط الأساسية التي ينادي بها الفكر الإداري الحديث وذلك لبيان أنها لم تكن تتبع الأساليب العشوائية وإنما كانت تتم بأسلوب علمي وموضوعي يأخذ بالأسباب الشرعية لمواجهة توقعات مستقبلية.

يمكن تقسيم التخطيط الإداري الإسلامي في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فترتين رئيسيتين هما :

أولا : الفترة المكية والتي استمرت ثلاثة عشر عاما.

ثانيا : الفترة المدنية والتي استمرت عشر سنين، والتي ستقتصر هذه الدراسة عليها (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ : ٢٠٧).

القسم الرابع : الدراسة والتحليل

من الأفضل في هذا الجزء من الدراسة وقبل البدء في مناقشة التخطيط الإداري في العهد النبوي المدني إعطاء نبذة مختصرة عن سير النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى يثرب . ذلك أن هذه الهجرة كانت بناء على عقد معاهدتين للرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل يثرب خاصة بيعة العقبة الثانية. فبيعة العقبة الأولى تعتبر بمثابة معاهدة دينية بايع من خلالها أهل يثرب الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يشركوا بالله شيئاً، وأن يأتمروا بما أمرهم به وينتهوا عما نهاهم عنه، وسميت ببيعة التوحيد لأنها خلت من الإشارة إلى الحرب والجهاد (برغوث، ١٤١٦هـ : ١٤٥). وأما بيعة العقبة الثانية فتعتبر بمثابة معاهدة استراتيجية سميت بالبيعة السياسية وافق من خلالها أهل يثرب على خمسة شروط هي :

١ ـ "تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل .

٢ ـ والنفقة في العسر واليسر .

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ ـ تقولون في الله لا تخافون لومة لائم .

٥ ـ أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم" (غضبان، ١٤٠٨هـ:٣٢٠).

وعلى ضوء بيعة العقبة الثانية هاجر المسلمون إلى المدينة ليتحقق ما يلي (الندوي، ١٤٠٨هـ:٤٦) :

أ ـ "إيجاد بوادر أمة وأفرادها.

ب ـ وجود أرض محددة.

جـ ـ وجود مبادئ وقيم جديدة كنواة للمجتمع الجديد.

د ـ وجود تشريع منظم للعلاقات. فلم يبق إذاً إلا رئيس الدولة " .

وكان المجتمع المدني – كما ذكر آنفا – ممزقا تتوزعه عناصر متنافرة في العقيدة والفكر والمنهج، فقبيلة الأوس في شطر المدينة وقبيلة الخزرج في شطر آخر وهما قبيلتان وثنيتان، والعلاقات بينهما يسودها العداء والتوتر، ولكل منهما حلفاء داخل وخارج يثرب يؤازرنهما وقت الحروب التي كثيرًا ما كان وراءها مكر اليهود. كما كانت النقابة هي النظام الإداري السائد في ذلك المجتمع حيث أن لكل قبيلة شيخ يتولى زعامتها وله فيها السيادة والريادة مما كان يثير الحسد والتباغض بين الطامعين من سادة القبيلة (ناشد، ١٤١٧هـ : ٣٠) .

وكان المسلمون منذ أن علموا بخروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة متوجها إليهم، يخرجون كل يوم إلى الحرة الغربية من بلدتهم ينتظرون مقدمه الميمون . وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الرابعة عشر من البعثة وصل الركب الميمون إلى قباء، وهي في بني عمرو بن عوف، وقضى أربع عشرة ليلة وأسس بها مسجد قباء (الجزائري، ١٤١١هـ:١٦٥-١٦٧، بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٦١). وكان هذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام حيث قال الله تعالى فيه وفي أهله :

﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِين ﴾ [التوبة:١٠٨].

وبعد ذلك توجه النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من قباء إلى داخل يثرب، وخرج المسلمون يستقبلونه عليه الصلاة والسلام حيث كان كل نفر من المسلمين حريص على أن ينزل الرسول صلى الله عليه وسلم عندهم، فتسابقوا يمسكون بخطام ناقته وهو يقول لهم : (دعوها فإنها مأمورة) (الجزائري، ١٤١١هـ:١٦٨) . ومضت سائرة حتى بركت في أرض يتيمين من بني النجار أخوال جده عبد المطلب فنزل عنها ثم بنى عليها مسجده صلى الله عليه وسلم وحجر نسائه أمهات المؤمنين . وبعد هذه المقدمة لوصول الرسول صلى الله عليه والسلام للمدينة سيتم فيما يلي مناقشة التخطيط الإسلامي في العهد النبوي المدني .

مقومات التخطيط الإداري في العهد النبوي المدني

يبين الجدول رقم (١) التخطيط الإسلامي للدولة الإسلامية الناشئة بجوانبه المتعددة مثل العمراني (المسجد)، والاجتماعي (المؤاخاة)، والسياسي (وثيقة المدينة)، والذي يعكس مقومات التخطيط الإداري الناجح. وفيما يلي تفصيل لها.

جدول رقم (١)

مقومات التخطيط الإداري في العهد النبوي المدني

الأهداف	السياسات	الوسائل	التقييم
أ. نشر الدين الإسلامي ب. توفير الأمن ج.تحقيق الاستقلال الذاتي	أ. بناء الدولة الإسلامية ب. الجهاد	أولا : تنظيم المجتمع الإسلامي : أ. بناء جيل قادر على حمل رسالة الإسلام ب. أسس قيام المجتمع الجديد : ١. تأمين حياة المسلمين وغيرهم من خلال : * بناء المسجد لإدارة المجتمع الجديد * المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار * دستور المدينة ٢. المدينة الأرض الآمنة ٣. إخلاء اليهود إذا نقضوا هذا الدستور ج. استقلال المدينة د. وضع التنظيم الإداري للدولة هـ. وضع التنظيم المالي للدولة و. وضع التنظيم الاجتماعي للدولة ز. نشر التعليم	**الإنجازات** أ.تغير اسم يثرب والأوس والخزرج لمواجهة الفرقة ب.إنشاء المسجد النبوي ج.تقوية الأواصر بين المسلمين حلت مشكلة المهاجرين الاقتصادية والاجتماعية د.تنظيم علاقة المسلمين مع بعضهم البعض ومع غيرهم هـ.حماية المسلمين من اليهود و.الوحدة السياسية ز.إعلان الاستقلال الذاتي ح.قيام الدولة الإسلامية ط.اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنظيم المجتمع الجديد ماليا واجتماعيا وإداريا **الصعوبات** أ. الأمية ب. مواجهة العدو
		ثانيا : السرايا والغزوات والجيوش	**الإنجازات** أ.بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سلسلة من السرايا مثل سرية عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب، وقام بعدد من الغزوات مثل غزوة بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكة ب.تدرب الصحابة على فنون القتال للدفاع عن أمن المدينة ج.تهديد تجارة قريش د.عقد المحالفات مع القبائل هـ.تخويف العدو و.تهيئة الصحابة للمهمات الصعبة بعد الأذن بالقتال ز.إلزام الأعداء للخضوع لسلطان الدعوة **الصعوبات** أ. الحذر والاستعداد الدائم للدفاع عن الدين وأمته الجديدة ب.الاستطلاع المستمر لتحركات الأعداء

أولا : الأهداف

على الرغم من ظهور الدعوة خلال العهد النبوي المكي، إلا أن الطابع العام هو أن المؤمنين كانوا غرباء بين قومهم يعانون من آلام الغربة ما يعانون، وكان قائدهم محمد صلى الله عليه وسلم كذلك غريبا بين أهله وعشيرته "...ذلك أن لم يكن للإيمان وطن يفيء إليه، ولا للمؤمنين قبيلة تدفع عنهم، وتحميهم" (العودة، ١٤١٠هـ:١٨٢). فقد مكث صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في دعوة أهل مكة إلى الإسلام دون أن يستجيب منهم سوى عدد قليل لا يكفي لمواجهة الباطل وقواه التي كانت تسيطر عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض كلها تقريبا. ومن هنا كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا في البحث عن قبيلة تسمح بنشر الدعوة بين ظهرانيها، أو تعلن إيمانها بالدعوة وحمايتها لها، ومن أجل ذلك كان يعرض نفسه على القبائل إلى أن قيض الله له نفرًا من أهل المدينة، فعرض عليهم الإسلام، فاستبشروا وأسلموا وكان هذا هو بداية إسلام الأنصار. إذاً على إثر بيعة العقبة الثانية، ثم بالهجرة بعدها، وجد الإسلام موطنه مما أدى إلى ضرورة التخطيط لعهد جديد لمواجهة المشركين، واليهود، والمنافقين. وكان من الأهداف المراد تحقيقها ما يلي :

أ ـ نشر الدين الإسلامي وذلك لأنه تحقق بعض الانتشار لدعوته خلال العهد المكي إضافة إلى أنه بعد نشأة الدولة الإسلامية في المدينة بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو المسلمين إلى ركائز أخلاقية أخرى مثل التآخي والتراحم والتعاون وعدم الحسد حيث كانت حاجة المجتمع الإسلامي لمثل هذه الأخلاق أشد (المطلق، ١٤١٧هـ:٥٠).

ب ـ توفير الأمن للمسلمين وغير المسلمين.

جـ ـ جعل المدينة الموطن لممارسة حرية الاعتقاد.

وقد تم تحقيق جميع هذه الأهداف، كما سوف نرى، وذلك من خلال تحديد سياسات مهمة ستناقش فيما يلي.

ثانيا : السياسات

لقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المدني مجموعة من السياسات اتسمت بالوضوح والمرونة والتناسق والقبول وذلك لتحقيق الأهداف المنشودة. وهذه السياسات، كما هو مبين في الجدول رقم (١)، تشمل ما يلي:

أ ـ بناء الدولة الإسلامية .

ب ـ الجهاد في سبيل الله . وفيما يلي شرح لكل واحد منهما .

أ ــ بناء الدولة الإسلامية

لم يستطع الرسول صلى الله عليه وسلم إيجاد الدولة التي تحمي الدعوة وأتباعها وقيادتها خلال العهد المكي، ومن هنا فكر بالخروج بالدعوة خارج مكة لتحقيق هدفين في آن واحد (العودة، ١٤١٠هـ:١٦٨):

١ـ البحث عن الموطن الذي يأمن فيه المسلمون على دينهم.

٢ـ البحث عن بيئة تقبل وتحمي الدعوة.

وكان من توفيق الله لدعوته أن المدينة المنورة كانت هي الموطن والبيئة التي تحمي الدعوة لتميزها بخصائص تم ذكرها سابقا.

ب ــ الجهاد في سبيل الله

إن تحقيق الأهداف المرجوة والمحافظة على ممتلكات الدعوة يتطلب القتال في سبيل الله . فما أن استقر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة حتى بدأ يخطط للأعمال الحربية ويدرب أصحابه على فنون القتال ويبعث السرايا والبعوث، لتثبيت أمن الدولة الإسلامية الناشئة، وتخويف المتربصين، وتهيئة أصحابه للمهمات التي تنتظرهم، بعد أن أذن الله لهم في القتال بقوله :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور ﴾ [الحج:٣٩-٤١].

إن الجهاد في سبيل الله لا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يفرض الدين بالحرب والإكراه ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... ﴾ [البقرة:٢٥٦]. فالإسلام لا يجيز القوة التي تكره الناس على الدخول في الدين، بل القوة التي تظهر للناس حقيقة الدين وتزيل الضغوط التي تحول بينهم وبين الإيمان به وتهيئ المناخ المناسب لقبول الحق، ثم تخلي بين الناس وبين أنفسهم يؤمنون أو لا يؤمنون، أي أن الجهاد لم يكن يقصد به إلا نشر الإسلام دين الله بين عباد الله في الأرض .

ثالثا : الوسائل

إن تحديد الأعمال اللازمة والنشاطات الضرورية لترجمة الأهداف إلى واقع ملموس كان أيضا سمة أساسية في التخطيط النبوي خلال العهد المدني. وهذه النشاطات كما هي موجودة في الجدول رقم (١) تشمل ما يلي:

أولا : تنظيم المجتمع الإسلامي

أ. بناء جيل قادر على حمل رسالة الإسلام.

ب. أسس قيام المجتمع الجديد.

١. تأمين حياة المسلمين وغيرهم من خلال :

* بناء المسجد لإدارة المجتمع الجديد.

* المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

* دستور المدينة.

٢. المدينة الأرض الآمنة.

٣. إخلاء اليهود إذا نقضوا هذا الدستور.

ج. استقلال المدينة.

د. وضع التنظيم الإداري للدولة.

هـ. وضع التنظيم المالي للدولة.

و. وضع التنظيم الاجتماعي للدولة.

ز. نشر التعليم.

ثانيا: السرايا والغزوات والجيوش

وفيما يلي سيتم تقييم هذه الوسائل .

رابعا: التقييم

إن هذا القسم من البحث سيقيم بشكل مفصل ما تم إنجازه من أعمال ونشاطات وتحديد الصعوبات التي واجهت عملية التنفيذ وحالت دون تحقيق الأهداف المرجوة في كل مرحلة من مراحل التخطيط الإسلامي في المجتمع المدني.

١ ــ تنظيم المجتمع الإسلامي

ظهر أثر التخطيط الإسلامي الشامل لإقامة أول مجتمع إسلامي في المدينة من خلال الملاحظات التالية (خميس، ١٣٩٤هـ:٥٩-٦٤، الشيباني، ١٤١١هـ:٢٠-٢٥، غضبان، ١٤٠٨هـ :٣٥٥-٣٨٠) :

أ. نظرًا للفساد في الحالات الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية السائدة، والتي تمت الإشارة إليها سابقا، عمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التغيير لينشئ جيلا جديدًا قادرًا على حمل الرسالة . وكان التغيير في كل شيء حتى في الأسماء، فعلى سبيل المثال :

> "غير اسم يثرب، وقال : هي المدينة ...، ورفض اسم الأوس والخزرج، وسماهم الأنصار ليجتمعوا تحت اسم واحد، ويزول ما بينهم من الفرقة والخصام، ونجحت الخطة، وظهر أثر التغيير في طباع الناس وأخلاقهم فعاشوا إخوانًا متحابين، تسودهم العدالة، وتشملهم المساواة، وعلى هذه القواعد (الأخوة والمحبة والعدالة والمساواة) أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة الإسلام في المدينة"(الوكيل، ١٤٠٩هـ :١٩)

أي حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إزالة العصبية القبلية المقيتة ليصبح الناس جميعا في دين الله إخوانا.

ب. قيام المجتمع الإسلامي الأول على ثلاثة أسس وهي :

١ـ الأساس الأول هو تأمين المسلمين وغير المسلمين على حياتهم وأرزاقهم حتى يزداد المؤمنون إيمانا، ويقبل على الإسلام المتردد والخائف والمستضعف. ولذا فقد انتهج الرسول صلى الله عليه وسلم الأساليب التالية في سبيل تحقيق هذا الهدف:

- ***بناء المسجد النبوي***

أن المسجد يعتبر الخلية الأولى للبناء الاجتماعي حيث يتاح للمسلمين على اختلاف قبائلهم أن يعيشوا معا متجاوزين ذلك الانتماء القبلي الضيق إلى الانتماء العام حول ما يعرف بالجماعة والأمة (الحديثي، ١٩٨٧ : ١٤٢) . إذًا فهو أداة صهر للمؤمنين في بوتقة الإسلام وفي وحدة فكرية واحدة من خلال العبادة والعلم والقضاء . وهذا ما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم من إقامة المسجد ليحقق المعاني السامية التالية (العودة، ١٤١٠هـ:٢٠١، الندوي، ١٤٠٨هـ:٦٢، الخطراوي، ١٤٠٤هـ : ١٤) :

- تحقيق عبادة الله وحده وهو الهدف الأساسي من الهجرة وبناء المجتمع الجديد.
- نشر الأخوة والمحبة بين المسلمين حيث يلتقوا خمس مرات يوميا يتآلفون ويتفقدون أحوال بعضهم بعضا ويتبلغون برغبة القائد وأوامر الله . "... وأي تنظيم سياسي في العالم، لم يستطع أن يضبط أتباعه بهذه المواعيد ويجعلهم يسلمون أنفسهم للقيادة خمس مرات يوميا" (الخطراوي، ١٤٠٤هـ : ٥٥) .
- نشر روح المساواة والعدل بين المسلمين وذلك لوقوفهم على صعيد مشترك من العبودية.
- تكوين نواة للمدينة الحديثة حيث نمت حول المسجد مشروعات تعمير المدينة وأصبح المحور الذي يضبط اتجاهات نموها وامتدادات شوارعها منذ ذلك الحين حتى عصرنا الحاضر.

فكان قيام المسجد النبوي وإعلان التوحيد في المدينة المنورة هو إعلان قيام دولة الإسلام، لأن اختيار بناء المسجد على أرض بني النجار هو تخطيط محكم من قبل رسول الله عليه السلام، فبنو النجار هم أخواله عليه الصلاة والسلام :

> "...وهو في جوارهم، والمسجد في أرضهم، ولن يروم حماهم أحد وحيث يمكن أن يقع صراع في أي قبيلة بين مؤيد ومعارض، ففي بني النجار، فلا لأنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكما كان بنو هاشم وبنو المطلب في مكة، فبنو النجار في المدينة، ونقيبهم أسعد بن زرارة، صاحب العقبات الثلاث، ... الشاب الذي يتوقد قوة وحيوية ..." (غضبان، ١٤٠٨هـ:٣٥٦-٣٥٧) .

كما أن المسجد سيبقى بالنسبة للمسلمين رمز انتصاراتهم، والذي تتعدد وظائفه فهو في المقام الأول دار للعبادة ثم دار للعلم يتلقى فيه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاليم الدين ويتدارسون القرآن الكريم ويتفقهون في أصول الشريعة. كما أنه دار للشورى والحكم يجتمع فيه المسلمون يتداولون الرأي مع رسول الله عليه وسلم فيما يمس شؤون الحياة وسياسة الدولة . كما كان يجلس فيه الرسول الله عليه وسلم للقضاء، يفصل فيما يشجر بين الناس من خصومات . إذًا المسجد يحكم البيت، ويحكم الشارع، ويحكم الحاكم، ويحكم الحياة فهو دار حياة المسلم .

إن المسجد يبرز أهمية الجانب العقدي في التخطيط الإسلامي حيث إن أول ركن تقوم عليه ومن أجله دولة الإسلام هو الصلاة لقوله تبارك وتعالى في كثير من الآيات القرآنية ومنها : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور ﴾ [الحج:٤١] . (غضبان، ١٤٠٨هـ : ٣٥٦) .

ومن هنا لم يعد سكان المدينة، كما كانوا عليه قبل الهجرة، يقتصرون على أوس وخزرج ويهود وإنما ينقسمون إلى ثلاث مجموعات متميزة وهي : المؤمنون، والمنافقون، واليهود لأن أساس المجتمع الجديد يستند إلى العقيدة (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ : ٢٦٦) .

- ***المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار***

أدى تدفق المهاجرين إلى المدينة المنورة إلى حصول العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والصحية، ذلك لأنهم قد تركوا أهليهم ومعظم أموالهم في مكة مما أدى إلى عدم قدرتهم على ممارسة التجارة وشعورهم بالوحشة وحنينهم إلى مكة، وتعرضوا للإصابة ببعض الأمراض مثل الحمى (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٦٦). ومن أجل التخفيف عن المهاجرين، شرع رسول الله عليه الصلاة والسلام نظام المؤاخاة بين المهاجرين المكيين وبين الأنصار من أهل المدينة، وقد شمل ذلك خمسة وأربعين من المهاجرين ومثلهم من الأنصار، وحل الإسلام محل قرابة الدم والنسب في شؤون الحياة، فكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على ذواتهم بطيب نفس ورضا وجداني وديني عميقين (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٦٧، ١١٧، ناشد، ١٤١٧هـ:٣٢). إلا أنه نسخ فيما بعد التوارث المترتب على المؤاخاة والذي يجب أن يقوم على أساس صلة الرحم وليس إبطال مؤاخاة المواساة والتعاون والتناصح، وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٧٥] .

إن فكرة الإخاء كانت بداية تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الفئتين الأساسيتين اللتين تشكلان المجتمع الجديد في المدينة ريثما يستعيد المهاجرون مقدرتهم المالية والاجتماعية (الندوي، ١٤٠٨هـ:٧٩) . فهي عملية تكييف اجتماعي لتأكيد التضامن والتعاون وإنكار الذات، وتضحية بمظاهر الحياة الدنيا لتحطيم عصبيات الجاهلية وإسقاط فوارق النسب واللون والقبيلة التي كان يمتاز بها المجتمع المدني قبيل الهجرة النبوية (الحديثي، ١٩٨٧: ١٤٣) . كما أضاف البوطي قائلا "إن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة" (البوطي، ١٣٩٧هـ:١٤٨).

واتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من حقيقة التآخي أساسا لمبادئ العدالة الاجتماعية والتي تدرجت :

"... فيما بعد بشكل أحكام وقوانين شرعية ملزمة، ولكنها كلها إنما تأسست وقامت على تلك الأرضية الأولى، ألا وهي الأخوة الإسلامية. ولولا هذه الأخوة العظيمة، التي تأسست بدورها على حقيقة العقيدة الإسلامية، لما كان لتلك المبادئ أي أثر تطبيقي في شد أزر المجتمع الإسلامي ودعم كيانه" (البوطي، ١٣٩٧هـ : ١٤٩) .

مما سبق يتضح التخطيط المحكم لأسمى عملية انصهار جماعي بين المهاجرين والأنصار في العهد المدني، وذلك للأسباب التالية (غضبان، ١٤٠٨هـ : ٣٦٢-٣٦٤):

- لم تتم المؤاخاة من خلال القمع والإرهاب .
- لم تتم من خلال الاستيلاء على السلطة .
- لم تتم من خلال التأميم للأمور المنقولة وغير المنقولة .
- تجلت أقصى درجات الرغبة والاندفاع لتنفيذ نظام المؤاخاة .
- المعايشة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم لنظام المؤاخاة والإشراف المباشر عليها حيث قال : (تآخوا في الله أخوين أخوين) أي تحديد التآخي المباشر بين كل أخ مهاجر وأخ أنصاري .
- رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في أن لا ينغمس المهاجرون الآن في الزراعة و العمل بل يتفرغوا للجهاد وعملياته العسكرية خارج المدينة .
- القضاء على العصبية القبلية وحب الذات والأنانية من خلال المؤاخاة .

ومن هنا تأسس المجتمع الإسلامي الذي يسوده الود والإخاء وأصبح الجميع أمة واحدة تربطهم العقيدة الإسلامية بعد أن عاشوا حقبة من الزمن بين أجواء العصبية بين الأوس والخزرج من طرف، وبينهم وبين اليهود من طرف آخر.

- ***وثيقة المدينة (الدستور الإسلامي)***

من أجل توفير الأمن والأمان للمجتمع الجديد واستكمالا للوحدة السياسية التي كان يهدف إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن وحد بين الأوس والخزرج وبعد أن آخى بين المهاجرين والأنصار، أراد أن يحمي المسلمين من اليهود كأخطر فئة كانت في المدينة حينذاك.

إضافة إلى إدخال الأمن والطمأنينة على نفوس غير المسلمين من أهل المدينة، فرأى عليه الصلاة والسلام أن ينظم علاقة المسلمين مع اليهود ليأمن شرهم وغدرهم وكتب بينه وبينهم كتابا ينظم تلك العلاقة . وأطلق على هذا الكتاب اسم دستور أو وثيقة أو موادعة المدينة وهو يتألف من عدة بنود (للمزيد من المعلومات عن بنود الصحيفة أنظر: غضبان، ١٤٠٨هـ:٣٦٧-٣٧٢، السلطان، ١٤١٢هـ:٦٤-٦٨، رسلان، ١٣٩٩هـ:٥٤-٥٨) . والمطالع لهذه الوثيقة العظيمة يلاحظ تضمينها لعدة مبادئ تهدف إلى حماية المجتمع الجديد سواء من الناحية السياسية أو الإدارية أو الاجتماعية (المطيري، ١٤١٧هـ:٩٦، ٢٥) . أهم ما جاء فيها يمكن ملاحظته في الآتي :

• لم يثبت من قبل أن أي دولة "... قامت منذ أول أمرها على أساس دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية، فإنما تقوم الدول أولا ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور"(الشريف، ١٩٦٥: ٣٨٧) .

• أن كلمة دستور هي أقرب ما يمكن أن يطلق على هذه الوثيقة في اصطلاح العصر الحديث لأنها اشتملت على "... جميع ما يمكن أن يعالجه أي دستور حديث يعني بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة في الداخل والخارج : أي فيما يتعلق بعلاقة أفراد الدولة مع بعض، وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين" (البوطي، ١٣٩٧هـ :١٥٢).

• وضع دستور الدولة الإسلامية الجديدة "القواعد الأساسية ورسم الخطوط العريضة لمنهاج الحكم والسلطة وعلاقات الأفراد والجماعات في الدولة الناشئة، ثم عرضه على الأمة فوافقت على ما جاء به عن اختيار، فكانت الوثيقة السياسية الأولى وتضمنت سبعة وأربعين بندا " (رسلان، ١٣٩٩هـ : ٥٩) .

• حددت الوثيقة ثلاثة معالم أساسية وهي (غضبان، ١٤٠٨هـ:٣٧٢-٣٨٠) :

القسم الأول يتعلق بحقوق وواجبات المسلمين في الدولة المسلمة، ومما جاء في تحقيقها من بنود ما يلي :

• بين البند الأول من الوثيقة أن الكتاب من محمد صلى الله عليه وسلم فهو الرسول المبلغ عن ربه، وهو الحاكم بشريعة الله سبحانه، والحاكم المسلم بعده يمثل هذه السلطة.

• كما حدد البندان الأول والثاني الهوية العقائدية للجماعة المسلمة وجعلت أطراف التحالف من "المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم" أمة

واحدة من دون الناس تقوم على أساس الدين (بن حميد وبن ملـوح، ١٤١٨هـ : ٢٧١) . أي أن الإسلام هو فقط الذي يجعل المسـلمين أمـة واحـدة وهـو أسـاس لابـد منـه لإقامـة مجتمـع إسـلامي متماسك سليم. ومن هنا فقد ألغى الرسول صلى الله عليه وسلم الحدود القبليـة وأقـر قـاعدة الأمـة والتي ساهمت في إسلام شعوب كثيرة .

• أما المواد (٣-١١) فقد أوضحـت أن المـهاجرين كتلـة واحـدة متميزة ذابـت الكيانـات القبلية بينهم في حين نسب الأنصار إلى عشائرهم،

> "وقد اتضح أن القصد من ذلك إبراز فكـرة التكـافل الاجتمـاعي، دون التنـاصر في العصبية والظلم . وبهذا فقد حول الرسول صلى الله عليه وسلم التوجـهات القبليـة إلى ما يحقق الأهداف السامية للدعوة الإسلامية . وبما أن التكافل يحتم علـى القبيلـة أن تعين أفرادها، وهو أمرٌ كان سائدًا في الجاهلية، فقد أقرته الوثيقة لما فيه من روح تعاون وتضامن وتكافل" (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧١) .

• أكدت المادة (١٢) من الوثيقة على مسؤولية المؤمنين الشاملة في التكافل مع كل فرد مـن أبناء الأمة، فالدية تتحملها القبيلة، وفك الأسير وتكاليفه المادية يحمله التنظيم على أفراده (بن حميـد وبن ملوح، ١٤١٨هـ : ٢٧١، غضبان، ١٤٠٨هـ : ٣٧٣) .

• كمـا أن المـادة (١٣) مـن الصحيفـة أكـدت مسـؤولية المؤمنـين جميعًـا في تحقيـق الأمـن والاستقرار في المدينة (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ : ٢٧١) . كما تضمنت أن يكون الـولاء لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وليس للقبيلة .

• ويتضح من المادة (١٥) أن ذمة المسلم أيًّا كان محترمة، وجواره محفوظ لا ينبغـي أن يجـار عليه فيه، مما يدل على مدى الدقة في المساواة بين المسلمين .

• وأما المادة (١٧) فقد بينت أن إعلان حالة السلم والحرب هي من اختصاص النـبي صلـى الله عليه وسلم. وأخيراً فإن (المادة ٢٣) من هـذه الوثيقـة أشـارت إلى أن الرسـول صلـى الله عليـه وسلم هو المرجع الوحيد للفصل في كل خلاف قد يقع بين المسلمين وحلفائهم في المدينة (بن حميـد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧٢).

وأما القسم الثاني من المعاهدة فيتعلق بحقوق وواجبات غير المسلمين في الدولة المسلمة. ومما جاء في الوثيقة من مواد لتحقيق هذه الحقوق والواجبات ما يلي :

• لن يكون هناك كيان أمة مستقل لغير المؤمنين في الدولة الإسلامية ولكنهم "كذلك ليسوا جزءاً من الأمة المسلمة، لكن بعضهم يمكن أن يكونوا مع التجمع الإسلامي، وبعضهم لـه استقلاله الذاتي" (غضبان، ١٤٠٨هـ:٣٧٦-٣٧٧) .

• تدل المادة (٢٤) من الموادعة على التزام اليهود بالمساهمة في نفقات الحرب الدفاعيـة عـن المدينة، كما ركزت المواد (٢٥ إلى ٣٤) من الوثيقة على تنظيم العلاقة بالمتهودين من قبيلـتي الأوس والخزرج" ... مع التركيز علـى نسـبتهم إلى عشـائرهم العربيـة حيـث أقـرت تحالفـهم مـع المؤمنـين وكفلت لهم حريتهم الدينية وحددت مسؤولية الجرائم وحصرتها في مرتكبيها الذين ينبغي أن ينـالوا عقوباتهم وإن كانوا من المتعاهدين" (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ : ٢٦٩) .

• كما منعت المادة (٣٦) يهود المدينة من الخروج منها إلا بإذن من الدولة، أي من الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك حرمهم من القيام بأي نشاط عسكري خارج المدينة قد يؤثر على أمن المدينة وعلاقاتها الاقتصادية .

• في حين أكدت المادة (٣٧) على أنه لابد من مساهمة المسلمين واليهود في نفقات الدفاع عن المدينة كل حسب إمكانياته ولابد من مشاركة غير المسلمين في الدفاع عن الوطن حين يتعرض للخطر، كما أنه لابد من التناصح والتشاور فيما بينـهم حتـى يعـود النفـع علـى الوطـن (غضبـان، ١٤٠٨هـ : ٣٧٨) .

وأما القسم الثالث من الموادعة فقد تضمن أحكامًا عامة لجميع مواطني المدينة. ومما جاء من مواد في تحقيق هذه الأحكام العامة ما يلي :

• المادة (٣٧ب) أوضحت أن كل مخطئ يحاسـب علـى تقصـيره، أي المسـؤولية الشـخصية للجرائم، فإنها ضمنت النصر للمظلوم أيا كان جنسه أو عقيدته .

• اعتبرت المادة (٣٩) حدود المدينة حرمًا آمنًـا علـى الجميـع. كمـا تعرضـت المـادة (٤٠) لحقوق الجار ومعاملته كمعاملة النفس، وأكدت المادة (٤١) أن الحرمات مصونة، مثل حق التملـك وحق التصرف، فلا يتدخل أحد فيها إلا بإذن أهلها (غضبان، ١٤٠٨هـ:٣٧٨-٣٧٩).

• المادة (٤٢) حددت الجهة التي يحتكم إليها وهي الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصـلاة والسلام، في حالات الأحداث أو الشجار أو الاختلاف .

• كما أن المادة (٤٣) منعت من إجارة العدو (قريش) وحلفائها وذلك لضمان "حرية المسلمين في التعرض لتجارة قريش التي كانت تمر غربي المدينة في طريقها من الشام وإليها (ومنع) احتمال حصول خلاف حول ذلك مع اليهود في المدينة" (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧٠).

• المادة (٤٤) من الوثيقة أشارت إلى أن الدفاع عن الوطن مسؤولية شاملة لكل فرد، والمادة رقم (٤٥) أوضحت أن الدولة هي الجهة الوحيدة التي تقر السلم أو الحرب وعلى جميع المواطنين التنفيذ، وأن من حق غير المؤمنين أن ينصروا حلفاءهم باستثناء من حارب في الدين (غضبان، ١٤٠٨هـ : ٣٧٩) .

• وختاما المادة رقم (٤٧) أقرت مبدأ عاما في أن الدولة عون وكهف ونصر لكل من بر واتقى ونفذ أحكام هذه الوثيقة (غضبان، ١٤٠٨هـ:٣٧٩) .

مما سبق تتضح الحنكة السياسية والتخطيط الدقيق من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد بين الباحث كيف تمكن عليه الصلاة والسلام من تنظيم هذا المجتمع بكل فئاته وأديانه وأحزابه من خلال هذه الوثيقة. ومن هنا توفرت للدولة الإسلامية جميع مقومات الدولة بمفهومها الحديث : الأرض، السكان، التنظيم، القيادة . "فالأرض تتمثل في إقليم المدينة المنورة، والسكان هم الأنصار والمهاجرون وطوائف اليهود. أما التنظيم فيتمثل في التشريع السماوي وهدي النبي الكريم الذي لا ينطق عن الهوى، وأما السلطة والرئاسة فتتمثل في شخصيته صلى الله عليه وسلم كقائد أعلى للدولة" (السلطان، ١٤١٢هـ:٣٨٠) . وفي هذا دليل واضح على أن الدولة الإسلامية قامت منذ نشأتها على كل ما قد تحتاجه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية . ومن تطبيق هذه الوثيقة قامت تلك الدولة على أمتن ركن وأقوى أساس لتقدم للبشرية أروع ما عرفته الإنسانية من مظاهر الحضارة والمدنية الصحيحة.

١ ـ الأساس الثاني الذي قام عليه مجتمع المدينة المنورة هو "جعل المدينة مثابة ومكانا لمن يريد أن يلتحق بركب المؤمنين بحرية وبدون ظلم أو تجن من أحد يمنعهم من ممارسة حرية الاعتقاد" (الشيباني، ١٤١١هـ : ٢٢) . فقد نصت المادة [٤٧] على أنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله. وهذا يشير، كما ذكرنا سابقًا إلى إعلان عام بالأمن والسلام لمن خرج من المدينة ولمن بقي فيها باستثناء المجرمين . وبهذا تحدد عنصر هام من مقومات الدولة وهو

المتمثل في أرض المدينة وما حولها لتكون المكان الذي يحمى فيه كل من يؤمن بأفكار ومعتقدات الأمة الوليدة. كما أصبحت المدينة المنورة منطلقا للدعوة الإسلامية بحكم أنها العاصمة السياسية الأولى للدولة الجديدة.

٢ ـ وأما الأساس الثالث فهو إخلاء المدينة من اليهود إن هم لم يحافظوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم حتى لا يبقى هناك مجال للمنازعات ولا إذلال للمسلمين . وذلك لأن الوثيقة تدل على مدى العدالة التي اتسمت بها معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود . "وقد نفذت هذه السياسة بعد خيانة اليهود ونقضهم (لدستور المدينة) ومناصرتهم للأحزاب وتأليب المشركين على المسلمين ومناصرتهم عليهم وكشف عورات المجتمع المسلم لأعدائه" (الشيباني، ١٤١١هـ:٢٢) .

ج. إن وثيقة المدينة هي إعلان الاستقلال الذاتي للمدينة وسيادتها المطلقة في أرضها وشعبها وتنظيم علاقات الحاكم والشعب على أساس من القانون (رسلان، ١٣٩٩هـ:٥٩) . كما أنها بينت أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المرجع الوحيد للفصل في كل ما يقع بين مواطني المدينة من مشكلات . وفي هذا الإعلان تحد من الدولة الإسلامية الناشئة لأمة الكفر، والذي"... لم يكن ذلك تحديا لمكة فحسب، وإنما كان تحديا للعالم أجمع، فلم يكن هناك من يؤيد الدين الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتالي لم يكن هناك من يؤيد الدولة التي قامت على أساسه" (الوكيل، ١٤٠٩هـ:٧٧) .

د. كانت بداية التنظيم الإداري في هذا المجتمع الجديد عبارة عن القيادة العليا التي حمل مسئوليتها الرسول عليه الصلاة والسلام، ومجلس الشورى الذي ساعد وشارك في عمل السياسة والمشاورة . والوظائف الأخرى مثل الولاة، والعمال، والكتابة، وأعمال القضاء. فاعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم في تنظيم وإدارة الدولة الإسلامية الناشئة على الصحابة، فاتخذ مستشارين من كبارهم أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . وكذلك اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لاثني عشر نقيبا في بيعة العقبة الثانية لتمثيل قومهم أمامه عليه الصلاة والسلام وإبلاغ قومهم تعليماته وتوجيهاته . أي ظهور الشورى كشكل جديد من أشكال الحكم والتي لم تكن معروفة من قبل :

"أما العرفاء فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار لكل قبيلة عريفا، وكان كل من قدم المدينة من الأعراب ينزل على عريفه، أما إذا كان من قبيلة ليس لها عريف فإنه ينزل في الصفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم حيث يتم قراهم من قبله صلى الله عليه وسلم" (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧٦) .

تعيين الرسول صلى الله عليه وسلم للولاة على الأمصار بعد اتساع الدولة الإسلامية والذين كانوا من فقهاء الصحابة الكبار مثل عتاب بن أسيد على مكة المكرمة، وعلي بن أبي طالب على نجران ... الخ حيث كانت مهمة الوالي هي تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. وأما عماله على الصدقات فكانت مهمتهم جمع الزكاة والصدقات وشارك معهم في هذه المهمة شيوخ القبائل لأن دفع الزكاة في البادية لم يكن من الأمور المقبولة عند الأعراب، "ولكن حين يتولى شيخ القبيلة ... جمعها وتوزيعها فإن ذلك يخفف من الأثر النفسي عليهم، إضافة إلى أن الشيخ يعرف الأغنياء وأصحاب الثروات منهم وكذلك الفقراء"(بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧٦).

كما كان من التنظيم الإداري في هذا المجتمع الجديد إعداد الكتاب الذين يعاونون الرسول صلى الله عليه وسلم في مهام إدارته عن طريق توسيع نطاق التعليم حتى بلغ عددهم قرابة الخمسين، فكان منهم كتاب الوحي، وكتاب أموال الصدقات، وكتاب العقود والعهود والمداينات (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧٦).

وكذلك اهتمت الدولة الإسلامية الناشئة بالقضاء لتحقيق العدل والإنصاف بين الناس وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول القضاة في الإسلام، ولكن عندما انتشر الإسلام خارج المدينة عين عليه الصلاة والسلام الولاة من أهل الفقه ليقضوا بين الناس بالعدل إلى جانب مسؤولية إدارة الإقليم . إن هذا التنظيم الإداري الجديد حرص على غرس روح التعاون بين أفراده ونبذ كل أنواع الصراعات الطبقية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي.

هـ. التنظيم المالي للدولة الناشئة كان من خلال تحديد مصادر دخل الدولة عن طريق الزكاة والغنائم والجزية (الشيباني، ١٤١١هـ:٢٢) . كما كانت حكومة النبي صلى الله عليه وسلم تعتمد في مواردها المالية على أغنياء الصحابة الذين يبذلون الكثير من أموالهم في مواجهة حاجات الدولة، كالإنفاق على الجيوش، وإعانة المحتاجين من المهاجرين . ونظمت الحياة الاقتصادية فحرم الربا ووضعت التعاليم الاقتصادية الإسلامية مثل حقوق التملك، وحرية العمل، وسيادة الأمن مما ساهم في ازدهار الحياة الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة.

"و لم تكن القيود الجديدة على النشاط الاقتصادي لتؤثر سلبيا على تكون رؤوس الأموال، فالربا الذي حرم منع تكدس الأموال بأيد قليلة، لكن السماح بتكوين رؤوس أموال مشتركة لتمويل العمليات التجارية عوض النقص في رؤوس الأموال، كما أن تفتيت الثروة يساعد على زيادة القوة الشرائية في المجتمع، مما ينشط الحركة الاقتصادية .وكانت تعاليم تحريم الربا، وتحريم الاحتكار، ونظام الميراث، والزكاة والحث على الصدقات تساعد على تفتيت الثروة وتداولها" (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧٧) .

و. التنظيم الاجتماعي للدولة الذي أقيم في هذه الدولة الناشئة على أساس الحب والاخوة كما وضح سابقا عند الحديث عن المؤاخاة والتكافل الاجتماعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحترام الإنسان حتى أنه لم يكن هناك شرطة أو قوى أمن تفرض النظام وتحقق الأمن . لذلك نصت المادة [١٣] على أن يقوم جميع المؤمنين بتحقيق الأمن والاستقرار في المدينة وذلك بالضرب على أيدي الجناة وعدم مساعدتهم في الهرب من العدالة مما أدى إلى أن أصبح الثأر حالة استثنائية نادرة بعد أن كان هو القاعدة لتسوية الحسابات قبل الإسلام (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٧٧-٢٧٨) . وضمن هذا الإطار الاجتماعي يضيف محمد الشيباني (١٤١١هـ:٢٣) بأنه :

"تم تنقية المجتمع وصيانته من الجرائم والعادات السيئة التي كانت تسود العصر الجاهلي فحرم تعاطي الخمر والميسر وشهادة الزور والقتل ووأد البنات والزنا، مع التركيز على تحقيق مفهوم التعاطف والتراحم بين أفراد المجتمع بتوثيق الترابط الأسري بما أوجبه الإسلام ضمن نظام النفقة وإلزام الآباء والأبناء والأخوة وبقية الأقارب بالإنفاق في حالة احتياج بعضهم لبعض".

إذاً ظهور تنظيمات اجتماعية جديدة مثل تحريم الخمر والميسر ووأد البنات أدى إلى إرساء قواعد التراحم والتكافل الاجتماعي القائم على أسس العدالة والمساواة والرحمة والتي لم يعهدها الناس قبل الإسلام.

ز. لقد ظهر في هذه الفترة سعي الحكومة النبوية لنشر التعليم بين المسلمين لمواجهة مشكلة الأمية حيث إن القيام بمهام الدولة يتطلب وجود كتاب للوحي، وكتاب للعقود، وكتاب رسائل ... الخ . ومما يدل على ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض المتعلمين من المسلمين بتعليم الآخرين، وأمر بعض أسرى بدر بتعليم شباب الأنصار الكتابة مقابل مفاداتهم،

وإرسال المعلمين وسط الأخطار لتعليم أبناء القبائل في البوادي. كما كانت حلقات تعليم القرآن والدين تعقد في المسجد النبوي والمساجد الأخرى. كل ذلك لتحقيق القوة والاستقرار والتماسك في المجتمع الوليد من خلال التعليم الذي ارتبط منذ البداية بالقيم الدينية والأخلاقية الإسلامية ومنها :

> "استحضار النية الخالصة لله في طلب العلم، وعدم جواز كتم العلم لوجود حق عام للناس في علم العالم، والتعليم حق للجميع وهو مجاني" (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ : ٢٧٩) .

يتضح مما سبق أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تمكن بتوفيق الله من إنشاء المسجد النبوي، وتقوية الأواصر بين المسلمين من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتنظيم علاقة المسلمين مع غيرهم من سكان المدينة المنورة بناءً على ما جاء في صحيفة المدينة، مما أدى إلى قيام الدولة الإسلامية بمقوماتها الأربع (الأرض والشعب والسلطة والدستور). كما تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من وضع التنظيمات اللازمة (الإدارية، المالية، الاجتماعية) لقيام هذا المجتمع الناشئ. إلا أنه عليه الصلاة والسلام بعد استقراره في المدينة أراد تثبيت أمنها وتخويف المتربصين بها وبأهلها ومواجهة عدوها وذلك من خلال التخطيط للأعمال الحربية والذي سوف يناقش فيما يلي .

٢ ــ السرايا والغزوات والجيوش

بعد أن أقام الرسول صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية الناشئة بمقوماتها الأربع: الأرض والشعب والسلطة والدستور، بدأ يخطط لإرهاب العدو، وإظهار شوكة دولة الإسلام الجديدة، وتأمين السلامة للمجتمع الجديد من جيرانه . ولقد كان الجهاد ابتداءً ممنوعا ثم صار مأذونًا به ثم مأمورًا به (غضبان، ١٤٠٨هـ : ٣٨٢) . وتتمثل هذه الخطوة في السرايا والغزوات التي قام بها المسلمون مثل سرية عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبدالمطلب، وغزوات بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكة وفق مخطط رسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق الأمور التالية (بن حميد وبن ملوح، ١٤١٨هـ:٢٨٢) :

- زرع الخوف في قلوب مشركي مكة والقبائل الموالية لهم على أن لا يجرؤوا في الخوض في معركة لم يتهيأ لها مسلمو الدولة الناشئة .
- تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام، أي تهديد اقتصاد مكة .

• عقد المحالفات والموادعات مع القبائل لضمان تعاونها أو حيادها لتأمين الوجود الإسلامي في المدينة.

• إبراز قوة المسلمين أمام اليهود والمشركين داخل المدينة والقبائل العربية خارجها .

• تدريب قوات الجهاد على التحمل والطاعة وتنفيذ الأوامر وحسن التصرف في حالة حصول مفاجئات إلى جانب التعرف الدقيق على الطرق والمواضع، واكتساب الخبرات المتنوعة في فنون القتال . وكان هذا خاصة بعد أن أذن الله لهم في القتال بقوله :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور ﴾ [الحج:٣٩-٤١] .

• تأمين حدود الدولة الناشئة والتي أعلنتها وثيقة المدينة حتى لا يجرؤ أحد على مباغتتها أو التعدي عليها .

إن الجهاد في سبيل الله ليس هدفه الدفاع عن النفس أمام هجمات الأعداء، بل هو دفاع عن النفس ونشر للدعوة الإسلامية وإسقاط للدول الكافرة التي تعوق انتشار الإسلام وإخضاعها لحكم الإسلام، عن طريق الدخول في الدين، أو دفع الجزية للمسلمين . إلا أن هذا لا يعني "القوة التي تكره الناس على الدخول في الدين، بل القوة التي تظهر للناس حقيقة الدين وتزيل الضغوط التي تحول بينهم وبين الإيمان به، وتهيئ الجو لتوصيل الحق، ثم تخلي بين الناس وبين أنفسهم يؤمنون أو لا يؤمنون" (العودة، ١٤١٠هـ:٢٥٠) . أي أن الجهاد لم يكن يقصد به إلا الدفاع وإعزاز الدولة الإسلامية بحيث تعيش في أمن عام .

يتضح مما سبق أن الدولة الإسلامية الناشئة توفرت لها كل مقومات الدولة الأربع (الأرض والشعب والسلطة والدستور) مما حتم وجود تنظيمات لها مثل التنظيم السياسي والإداري والمالي والاجتماعي والتعليمي، وحتى تتمكن الدولة من توفير الأمن والسلامة لمواطنيها والدفاع عن ممتلكاتها لا بد لها من الجهاد في سبيل الله لتضطلع بنشر الدين الإسلامي. أي أنه لم يكن غرض هذا الجهاد حرب جماعة من الناس، ولا الاعتداء على قبيلة من القبائل وإنما كان الغرض

الأساسي منها هو إرهاب العدو حتى لا يفكر في الاعتداء وبالتالي تأمن الدولة الناشئة من هجوم مفاجئ على حدودها.

وبعد هذا التحليل يظهر سؤال هام جدا وهو: كيف تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من إنجاز هذا البناء الشامخ الماثل عبر العصور ؟ وفيما يلي الإجابة.

القسم الخامس : عوامل نجاح قيام الدولة الإسلامية

لقد أنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم دولة من العدم وجعل من رعاة الشاة والغنم قادةً للشعوب والأمم، وكان السبب الرئيس هو عون الله وتوفيقه لهذه الدعوة وحملتها إذ لا يمكن للعوامل المادية والبشرية وحدها أن تفسر ما حدث أبدا. إلا أن المتأمل لهذا الصرح الشامخ يرى العوامل التالية (العودة، ١٤١٠هـ:٢٢٤-٢٢٥) :

١ ــ المعتقد الواضح

وجود المعتقد الواضح المتميز الذي نادى له الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. وهذا المعتقد هو الإسلام الذي جاء ملائمًا للفطرة الإنسانية، منسجما معها، فما من إنسان يصغي برغبة صادقة لداعي الإيمان إلا انشرح صدره وانهار الركام المطبق عليه . ذلك لأن هذا هو الدين الرباني المهيمن على الأديان كلها والذي لن يقبل سواه في الآخرة. فكانت الدعوة إلى الله واضحة جلية ليس فيها مجال للالتباس .

٢ ــ أتباع المعتقد

إن أتباع هذا المعتقد قد جمعوا، إلى الخصائص الفطرية، الخصائص الإيمانية . فكان هؤلاء الأتباع بعيدين "... عن زيف الحضارات المادية، وتخليطات الفلسفات البشرية، وأقرب إلى الفطرة، والسلامة، من غيرها ... (مما أدى إلى تأثر أفرادها) العميق بهذا الدين، والاستجابة التامة لله ... (وللرسول صلى الله عليه وسلم)، حتى ضربوا في ذلك الأمثلة الفذة، التي يشهد التاريخ أنه لم يشهد لها مثيلا" (العودة، ١٤١٠هـ:٢٢٩) .

فعلى سبيل المثال موقف الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع أمه فيقول:

> "كنت برًّا بأمي، فلما أسلمت قالت : يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا ؟ أو لا آكل، ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي، فيقال :

يا قاتل أمه، قلت : لا تفعلي يا أمه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوما لا تأكل و لا تشرب وليلة، وأصبحت وقد جهدت، فلما رأيت ذلك قلت: يامه! تعلمين والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني، إن شئت فكلي أو لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت" (برغوث، ١٤١٦هـ:٤٥٧).

فقد اتصف مجتمع المسلمين الجديد بالاخوة الإيمانية المبنية على المحبة في الله والتي أصبحت من أعظم عوامل توحيد المجتمع حيث كان الأب الذي ينتسبون إليه هو الإسلام فكان الناس جميعا في هذه الأمة أخوة لأب واحد كما ذكر آنفا في المؤاخاة (الوكيل، ١٤٠٩هـ:١٩-٢١) .

٣ ــ القيادة

إن القيادة التي حملت الدعوة الإسلامية وسارت بأتباعها نحو تحقيق الأهداف يقف في مقدمتها الرسول صلى الله عليه وسلم ثم كبار أصحابه أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين . فقد كان من الجوانب البارزة في شخصيته صلى الله عليه وسلم كمال خلقه وكمال حكمته ووضوح شخصيته وضوحا تاما للعدو والصديق، واليقين الراسخ وقوة شخصيته عليه الصلاة والسلام في عرض الحق والدعوة إليه (العودة، ١٤١٠هـ:٢٣٢-٢٣٥) .

القسم السادس : نتائج البحث

إن الإدارة الإسلامية تستمد مبادئها وأسسها من وحي الشريعة الإسلامية سواءً أكان ذلك من المصادر الأساسية (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة) أو المصادر الثانوية (الإجماع والقياس والعرف). وقد بينت الدراسة سمو هذه الإدارة الإسلامية من خلال استعراض أحد جوانبها الإدارية وهو التخطيط وفق المصدر الرئيسي الثاني من مصادر التشريع الإسلامي . إن السنة النبوية هي أقوال وأفعال وتقريرات الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وقال عز وجل أيضا : ﴿... وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [الحشر:٧].

لقد تم في هذا المقال التأصيل الإسلامي للتخطيط ومعرفة المفهوم الخاص به والذي يضفي

عليه طابعا مميزًا، ومناقشة التخطيط من خلال إبراز بعض جوانب السنة المطهرة الفعلية في العهد المدني من الهجرة النبوية وذلك للاستفادة منها في المجتمعات المسلمة في عالم اليوم. وقد اتضح من هذا المقال تطبيق الإدارة الإسلامية للتخطيط في الحياة العملية لإدارة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة . ومن خلال القراءة الفاحصة لمحتويات هذا المقال، يمكن استنتاج جوانب التخطيط الإداري الإسلامي في الآتي :

١ ـ التخطيط الإداري الإسلامي يعني عملية استفراغ الوسع من قبل الفرد أو الجماعة في الأخذ بالأسباب الشرعية، والاستفادة من دروس الماضي والحاضر لوضع التدابير اللازمة لمواجهة المستقبل، مع التوكل على الله فيما قدر من نتائج لتحقيق أهداف تتفق أو لا تتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية.

٢ ـ إن ممارسة التخطيط الإداري في الإسلام كسائر الأعمال لابد أن تكون ضمن الإطار التعبدي، وهذا أمر إسلامي تدل عليه الآيات القرآنية التالية:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِين ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُون، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أنْ يُطْعِمُون ﴾ [الذاريات:٥٦—٥٧].

٣ ـ عرف الإسلام التخطيط منذ نشأته ووضع له مبادئ وقواعد كلية يمكن من خلالها إعادة النظر في التخطيط للدول المعاصرة ليكون على أساس إسلامي.

٤ ـ لقد أسس الرسول صلى الله عليه وسلم سلطته في المدينة المنورة قبل الهجرة على بيعتي العقبة. ففي البيعة الأولى التزم من أسلم من أهل المدينة بقبول مبادئ الإسلام وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما البيعة الثانية فقد التزم فيها أهل المدينة بالطاعة والدفاع والحماية للرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنشاء دولة فتية بعناصرها المعروفة حديثا (الإقليم والشعب والدستور والسلطة). فقد أسس المسجد كأول مقر لإدارة الدولة الإسلامية الناشئة، وآخى بين المهاجرين والأنصار بحكمة جليلة انصهرت من خلالها القوميات والعصبيات، ووضع

دستورًا نظم حقوق الأفراد وواجباتهم، إضافة إلى التنظيمات الأخرى التي احتاجها هذا المجتمع الجديد سواء أكانت إدارية أو مالية ...الخ .

٦ ـ تحقق وجود الإدارة الإسلامية في المدينة المنورة وذلك نظرا لتوافر الآتي :

- البيئة والمجتمع الإسلامي .
- القيادة الإدارية الإسلامية .
- إرضاء الله سبحانه وتعالى وتنفيذ أوامره كان ولا يزال هو هدف هذه الإدارة الإسلامية.

٧ ـ التخطيط في الإسلام تخطيط إنساني، بمعنى أنه يجعل الإنسان محور اهتمامه وأساس خططه. لذا قام المجتمع المدني على أساس الأخوة والمحبة والعدالة والمساواة لأن الحضارة الإسلامية التي صنعها هذا التخطيط هي حضارة الإنسان بكل مقوماته وليست حضارة الأشياء والأموال. فقد جاء الإسلام إلى بيئة تعتبر الانتماء للقبيلة هو كل شيء، وتتفانى في حفظ هذا الانتماء . ولكن تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم بتوفيق الله من تكوين الجماعة المسلمة، فتآلفت قلوبهم بعد أن كانت متباعدة وحل الانتماء للدين، وللجماعة التي تحمله، وتدعو إليه، محل الانتماء للقبيلة. ومن هنا كان من أهم ركائز المجتمع المدني إتمام أسمى عملية انصهار جماعي شهدتها البشرية حيث كان الإسلام هو أب الجميع .

٨ ـ التحديد الواضح الدقيق للأهداف والذي تمثل في نشر الدين الإسلامي وتوفير الأمن وتحقيق الاستقلال الذاتي.

٩ ـ الصياغة الواضحة الدقيقة لمجموعة من السياسات المبنية على فهم الواقع والظروف المحيطة والإمكانات من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم. إن بناء الدولة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى مهدت الطريق لتحقيق الأهداف المرجوة.

١٠ـ قدرة ومهارة الرسول صلى الله عليه وسلم، بتوفيق من الله، على تحديد كل الوسائل والنشاطات الممكنة وتقييمها أولا بأول لترجمة الأهداف المطلوبة إلى واقع ملموس. وهذا ما تم في جميع مراحل التخطيط الإسلامي طيلة العهد المدني حيث تضمن الآتي:

أولا : تنظيم المجتمع الإسلامي يشمل تحقيق الآتي :

أ) بناء جيل قادر على حمل رسالة الإسلام.

ب) أسس قيام المجتمع الجديد تتمثل فيما يلي :

١- تأمين حياة المسلمين وغيرهم من خلال :

* بناء المسجد لإدارة المجتمع الجديد.

* المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

* دستور المدينة.

٢- المدينة الأرض الآمنة.

٣- إخلاء اليهود إذا نقضوا هذا الدستور.

ج) استقلال المدينة.

د) وضع التنظيم الإداري للدولة.

هـ) وضع التنظيم المالي للدولة.

و) وضع التنظيم الاجتماعي للدولة.

ز) نشر التعليم.

ثانيا : السرايا والغزوات والجيوش .

القسم السابع : الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث يمكن القول بأهمية الاقتداء بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التخطيط للاستفادة منه في الوقت المعاصر وذلك من خلال الآتي :

١ ـ استفراغ الوسع في الأخذ بالأسباب الشرعية مع التوكل والرضى بما قدره الله من نتائج.

٢ ـ الإيمان والالتزام والاستمرار في تحقيق الأهداف المنشودة والمباحة شرعًا مهما كانت العقبات والتحديات.

٣ ـ تحديد الزمان المناسب والمكان المناسب كما حصل في بدء الجهاد في سبيل الله بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

٤ ـ الاستفادة من المعطيات والظروف والإمكانات المتاحة رغم محدوديتها وبساطتها ومن ثم توظيفها لتحقيق الأهداف المنشودة . فقد قام صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد ليكون مقرًا

للأمة الناشئة تقيم فيه عبادتها، وتتداول فيه مختلف أمرها . كما أطلق اسم الأنصار كحل لمواجهة انقسام سكان المدينة إلى أوس وخزرج، وأطلق اسم المهاجرين على سكان مكة الذين هاجروا إلى المدينة وبالتالي حلت رابطة العقيدة محل العصبية القبلية .

٥ ـ الفهم الدقيق لواقع المجتمع المدني قبل الإسلام وتكيفه مع السنن الكونية والشرعية. ومن ذلك عقد دستور المدينة لتنظيم علاقة المسلمين مع اليهود والمشركين في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ليأمنوا شرهم وغدرهم .

٦ ـ الاستفادة من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في تنظيم أية دولة معاصرة على أساس إسلامي . وفي ذلك يوضح محمد العوا بأن مبادئ دستور المدينة لا تزال " ... في جملتها معمولا بها في مختلف نظم الحكم المعروفة إلى اليوم، وصل إليها الناس بعد قرون من تقريرها في أول وثيقة سياسية إسلامية " (العوا، ١٤٠٥هـ:٦٩) .

٧ ـ توافر المعتقد الواضح والقيادة الإسلامية الحكيمة والأتباع المميزين، تعتبر عناصر هامة من عناصر التخطيط الإسلامي، فهي تسهم بشكل كبير بعد توفيق الله جل جلاله في تحقيق الأهداف المنشودة .

٨ ـ وضوح شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وضوحًا تامًا للعدو والصديق والقريب والبعيد قبل البعثة وبعدها وفي حالة الحرب والسلم . إن أعماله وتصرفاته صلى الله عليه وسلم كانت واضحة سهلة بعيدة كل البعد عن الغموض والتورية والتأويل . وفي هذا يقال بأن "شخصيته صلى الله عليه وسلم كانت غير قابلة لتلك الدعاوى والافتراءات (ساحر، مجنون، شاعر)، فكان كل من عرفه يدرك بلا عناء كذبها، ومن سمعها فسبقت إلى عقله، فسرعان ما تزول بمجرد مقابلته للنبي صلى الله عليه وسلم أو محادثته له" (العودة، ١٤١٠هـ:٢٣٤) . فعلى سبيل المثال يقول عبد الله بن سلام رضي الله عنه : لما قدم رسول صلى الله عليه وسلم المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول صلى الله عليه وسلم، قدم رسول صلى الله عليه وسلم، قدم رسول صلى الله عليه وسلم فجئت في الناس لأنظر إليه،فلما استثبت وجه رسول صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب (العودة، ١٤١٠هـ:٢٣٤) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع

ابن إدريس، عبد الله عبد العزيز :*مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ .

ابن أنس، مالك : *الموطأ* . تحقيق خليل مأمون شيحا، ج٢، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ.

ابن حميد ، صالح عبد الله، وابن ملوح، عبد الرحمن محمد عبد الرحمن: *موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم*، المجلد الأول، دار الوسيلة، جدة، ، ١٤١٨هـ.

البنا، فرناس عبد الباسط: *التخطيط : دراسة في مجال الإدارة الإسلامية وعلم الإدارة العامة*، دار الكتب المصرية، ط١، ١٤٠٥هـ.

البوطي، محمد سعيد:*فقه السيرة : دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وما تنطوي عليه من عظات ومبادئ وأحكام*، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٣٩٧هـ.

الجزائري، أبو بكر جابر:*هذا الحبيب محمد رسول الله صلي الله علية وسلم يا محب*،مكتبة لينة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ .

الحديثي، نزار عبد اللطيف:*الأمة والدولة في سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين*، دار الحرية للطباعة، العراق، ط١، ١٩٨٧.

الخطراوي، محمد العيد:*المدينة في العصر الجاهلي : الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية*، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.

ـــــــــــــــ :*المدينة في صدر الإسلام : الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية*، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.

خميس، محمد عبد المنعم: *الإدارة في صدر الإسلام : دراسة مقارنة*، مطابع الأهرام التجارية،القاهرة، ١٣٩٤هـ.

رسلان، أكرم ديرانية : *الحكم والإدارة في الإسلام : دراسة تحليلية مقارنة*، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ.

السلطان، فهد صالح: *النموذج الإسلامي في الإدارة : منظور شمولي للإدارة العامة*، مطابع الخالد للأوفست، الرياض، ١٤١٢هـ.

السواط، طلق عوض الله وسندي، طلعت عبد الوهاب والشريف، طلال مسلط: *الإدارة العامة: المفاهيم، الوظائف، الأنشطة*، دار النوابغ للنشر والتوزيع، جدة، ١٤١٦هـ.

الشريف ، أحمد إبراهيم: *مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥.

الشيباني، محمد عبد الله:*نظام الحكم والإدارة في الدولة العباسية منذ صدر الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية*، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤١١هـ.

عساف، عبد المعطي محمد : *مبادئ في الإدارة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية*، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٠.

العظيم آبادي ، أبي الطيب محمد شمس الحـــق: عـون المعبـود شـرح سـنن أبـي داود، ج٦، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ١٤١٠هـ.

العوا، محمد ســـليم: صحيفـة المدينـة والشـورى النبويـة، *بحـث مقـدم لنـدوة النظـم الإسـلامية*، ١٨-٢٠ صفـر ١٤٠٥هـ الموافق ١١-١٣ نوفمبر ١٩٨٤، الجزء الأول، مكتب التربية العربي لدول الخليج، أبو ظبي، ص ص٥٥-٨٥.

العودة، سلمان فهد : *الغرباء الأولون : أسباب غربتهم – ومظاهرهـا – وكيفيـة ومواجهتـها : أسـلوب جديـد في دراسة السيرة النبوية*، دار إبن الجوزي، الدمام، ١٤١٠هـ.

غضبان، منير محمد: *فقه السيرة النبوية*، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

المزجاجي، أحمد داود، الأشعري : *مقدمة في الإدارة الإسلامية*، الشركة الخليجية للطباعة والتغليف، جدة، ١٤٢١هـ.

المطلق ، إبراهيم عبد الله: *التدرج في دعوة النـبي صلـى الله عليـه وسـلم*، مركـز البحـوث والدراسـات الإسـلامية، الرياض، ١٤١٧هـ.

المطيري، حزام ماطر: *الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة*، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

ـــــــــــــــ : مبادئ وأسس الإدارة العامة أهمية أسلمتها : دراسـة اسـتطلاعية تحليليـة، مركـز البحـوث : كلية العلوم الإدارية : جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٢هـ.

ناشد، محمد محمد: *الفكر الإداري في الإسلام*، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٤١٧هـ.

الندوي، محمد لقمان: *مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

النمر، سعود محمد وخاشقجي، هاني يوسف، ومحمود، محمد فتحي، وحمزاوي، محمد سيد : *الإدارة العامة: الأسـس والوظائف*، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٣، ١٤١٤هـ.

الوكيل، محمد السيد: *المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى*، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٤٠٩هـ .

ياغي، محمد عبد الفتاح: *مبادئ الإدارة العامة*، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٢، ١٤٠٧هـ.

Islamic Administrative Planning During Prophet Muhammad Medinite Era

Faisal Ahmed Abed Shuaibi

Assistant Professor
Department of Public Administration,
Faculty of Economics and Administration,
King Abdul-Aziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. The Islamic Administration is a way of life which derives its approach from the Islamic main and secondary sources. In order to be applicable, there must be an Islamic environment, an Islamic leadership, and a goal that is compatible to Islamic religion. This paper discusses planning as one of the most important processes involved in administration based on Prophet Muhammad's practice, peace and grace of Allah is upon him, during Medinah era. The objectives of this study are:

1. To show the important role of Islamic faith in planning.
2. To clarify the characteristics of the ideal Medinah society.
3. To benefit from the Prophet Muhammad's approach in planning.
4. To encourage Moslems to go back to their Islamic thought and practice.
5. To add important information about Islamic administrative planning in support of the library of Islamic administration.

The study defines Islamic administrative planning as a process of taking all Islamic permitted means by an individual or a group of people and benefiting from past and current lessons to deal with the future which requires leaning on Allah and be satisfied with what Shariah prescribed in order to achieve goals that are compatible with the five Islamic law-shaped principles. Namely, maintaining religion, life, mind, offspring, and wealth. Therefore, the concept and practice of Islamic administrative planning are directly attached to the strongly based faith of worshipping Allah.

The study also indicates that administering the newly formed Islamic state during Prophet Muhammad Medinite era reflects the aspects of successful administrative planning.